القرآن منهج وسلوك

المرجع الديني الراحل
آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي
(قدس سره الشريف)

الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م

مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر
كربلاء المقدسة

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

يتميز المنهج القرآني عن بقية المناهج الوضعية بشموليته وتكامله في معالجة الواقع البشري، حيث قدم هذا المنهج الحلول المناسبة لكل القضايا الإنسانية، وأشرف على بناء الإنسان بناءً روحياً وفكرياً وعملياً، وذلك عبر الكثير من الضوابط والقوانين الثابتة على ما تقتضيه مصلحته العليا.

والله ـ عزوجل ـ حين خلق الخلق زودهم بالعقل والإدراك، وجعلهم يميزون بين الإصلاح والفساد، ويقفون على المنهج الواضح المؤدي للصواب، وذلك عبر إرسال الأنبياء عليهم السلام وتنزيل الكتب السماوية أيضا، وعلى هذا الأساس يلزم على العاقل المستنير أن يتحرك وفق المنهج الذي يؤدي إلى الأمان والاستقرار ويرقى في سلّم التطور والتقدم، ولو قرأنا القرآن الكريم قراءة تأمل وتدبر وحلّقنا في نوره اللامتناهي وجدنا إن كل حرف من حروفه يهدي للتي هي أقوم، وقد أكدّ هذا المعنى رسول الإنسانية صلى الله عليه وآله حين قال صلى الله عليه وآله : «القرآن هدى من الضلال، وتبيان من العمى، واستقالة من العثرة، ونور من الظلمة، وضياء من الأحداث، وعصمة من الهلكة، ورشد من الغواية، وبيان من الفتن، وبلاغ من الدنيا إلى الآخرة، وفيه كمال دينكم»[1].

فكمال الدين، والسعادة المطلقة، والانتصار الدائم، والحرية الشاملة، والنجاح المتواصل لا يكون إلا من خلال دراسة هذا المنهج القويم دراسة عميقة بحتة؛ باعتباره منهج الحياة ـ بل دستور الكون كله ـ الذي يشمل كل النظم والتنظيمات الواقعية المنظمة لشتى الجوانب الحياتية، الملبية لحاجات الإنسان الحقيقية، المهيمنة على سائر أوجه النشاط الإنساني.

والله تعالى يعلم وهو العادل الحكيم أن هذا الإنسان لابد له من التخبط في مساراته وأفعاله، ومن العدل أن يضع له دستوراً يلتزم به ليتحقق الغرض من وجوده، وليستبين له الرشد من الغي، وليخرجه من الظلمات إلى النور، ومن الغواية إلى الهداية، والذي يلتزم

[1] الكافي: ج٣ ص٦٠٠ كتاب فضل القرآن ح٨

بتوجيهات هذا الدستور العظيم سوف يتحكم بسلوكه وتصرفاته اتجاه الخالق والخلق من خلال مسيرته التكاملية.

لذا يلزم ـ علينا كمسلمين ـ أن ننظر إلى آيات الذكر الحكيم بدقة وتفكر وتعمق؛ لنصل إلى النجاح الإلهي وإلى سمو المنزلة الرفيعة فنحرز سعادة الدارين، وذلك ببركة العمل بالقرآن الكريم.

فالقرآن الكريم في حقيقته ليس محصوراً في دائرة الاعتقاد الوجداني والتعبدي فحسب، ولم ينزل على مجموعة من البشر في جيل من الأجيال فقط، وإنما هو المنهج الثابت الذي ارتضاه الله سبحانه لحياة البشر المتجددة.

ولما كانت مستويات تفكير الإنسان تتفاوت من شخص لآخر، فقد راعى الله ـ عزوجل ـ هذا التفاوت وخاطب الناس بلغة تتناسب مع درجات تفكيرهم وتنوع نظراتهم.

فالقرآن منهج الروح والفكر والسلوك إذا تحول إلى ممارسة وتطبيق، ولكنه إذا أقصي من واقع الحياة أو لم يطبق بالشكل الصحيح فإن الشقاء والتعاسة هي النتيجة الحتمية فعلاً، ويبقى الناس يدورون في متاهات الأمراض العقلية والخلقية والعصبية التي لا تعالج إلا بالتمسك الجاد بكتاب الله، واتباع الإدلاء على نهجه القويم، وهم الأئمة الأطهار عليهم السلام الذين أنعم الله بهم على هذا الوجود، لأنهم بحق كانوا تجسيداً حياً لرسالة الله تعالى في الفكر والعمل، فقد حملوا المسؤولية الكبرى، وهدّموا القيم الجاهلية الفاسدة، وأقاموا المجتمع التوحيدي الصالح.

وفي هذا الكتاب يتعرض سماحة الإمام الراحل آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي قدس سره إلى الأهمية الكبرى التي يقدمها كتاب الله المجيد باعتباره دستوراً شاملاً لكل نواحي الحياة ومنهجاً عظيماً تسير على نوره الأمم.

وكذلك تعرض سماحته قدس سره إلى أهم سبل الهداية وهي القرآن الكريم والعترة الهادية عليهم السلام فالله ـ عزوجل ـ فرض على الناس العلم والعمل بما في القرآن الكريم فلا عذر في تركه بعد أن وفر لهم من يعنيهم على ذلك وهم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام التراجمة المفسرون له، حيث بين سماحته قدس سره الترابط الوثيق بين القرآن والأئمة الأطهار عليهم السلام ثم تعرض إلى أهم خصائص القرآن المجيد باعتباره جديد دائماً وأبداً في كلماته ومعانيه وإيماءاته، فلابد من تلاوة

آياته بتأمل وإنصات وتدبر حتى تكون مقدمة لتطبيقها على الواقع العملي.

مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر

كربلاء المقدسة

القرآن منهج وسلوك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

الدستور الكامل للبشر

قال سبحانه وتعالى: ﴿هذا بَصائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[٢].

فإن ﴿هذا﴾ القرآن الذي أنزل إليك ﴿بَصائِرُ لِلنَّاسِ﴾ جمع بصيرة، فكما أن البصيرة في الإنسان كاشفة له طريق الفلاح، كذلك القرآن كاشف طريق السعادة، أي: بينات تبصرهم أمورهم، ﴿وَهُدىً﴾ أي: هداية إلى الطريق ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ أي: فضل وترحم، يرحمهم الله به إذ يريهم السعادة الأبدية ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ به ويعلمون أنه الحق، وإنما خصهم لأنهم المنتفعون، أما غيرهم فهم في ضلال ونقمة[٣].

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّ الله سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَداً بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ وسَبَبُهُ الأَمِينُ، وفِيهِ رَبِيعُ الْقَلْبِ ويَنَابِيعُ الْعِلْمِ، ومَا لِلْقَلْبِ جِلاءٌ غَيْرُهُ»[٤].

فقد أنزل الله سبحانه وتعالى كتابه العزيز على رسوله الأمين صلى الله عليه وآله دستوراً دائماً لبني البشر، ملبياً فيه جميع طلباتهم على مرّ العصور والأزمنة إلى يوم القيامة، إنه لم يدّخر صغيرة ولا كبيرة من شأنها أن تصلح بال البشر، إلاّ أحصاها لهم، وبيّنها بمختلف الحالات والسبل، لكي يتبين الرشد من الغي، وتتم الحجة لله على الناس أجمعين، وذلك بعد أن رسم لكل من

---

[٢] سورة الجاثية: ٢٠.

[٣] انظر تفسير (تقريب القرآن إلى الأذهان): ج٢٥ ص١٤٢ سورة الجاثية.

[٤] نهج البلاغة، الخطب: ١٧٦ من خطبة له عليه السلام وفيها يعظ ويبين فضل القرآن وينهى عن البدعة.

المخلوقات طريق سلوكه وما يحتاج إليه في مختلف مجالات الحياة.

ثم إن الأسلوب الذي جاء به القرآن من بسيط في المنهج، وسلس في البيان، ومطابق للفطرة الإنسانية، إلا أنه بالنسبة إلى الأطر التي بناها قاطع وصارم، فمبانيه صارمة ومرنة في آن واحد. فمن حيث وضوح المضمون نجد أنّ إلى جانب وضوح كلّ قاعدة نوعاً من التحصين الذي يقف في مواجهة الفوضى والأهواء، ولكنّها تترك لكل فرد حرياته المشروعة، وتكيّفه في نطاقه على مثله الأعلى، وبهذه الطريقة كان قد بلغ القرآن درجة الكمال العليا، التي لا يمكن لغيره أن يصلها، كيف لا؟ وهو الطريق الأقوم الذي رسمه الله سبحانه وتعالى للبشر.

قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾[٥].

فإن الذي يهدي إليه القرآن أقوم وأكمل مما يهدي إليه غيره من الكتب.

قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدانِي رَبِّي إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[٦]

فمجرى السنّة الإلهية قد تمثل في القرآن من حيث هداية الإنسان إلى سبيل الحق.

قال تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٧].

فإن معنى: ﴿يَهْدِي بِهِ﴾ أي: بكل واحد من النور والكتاب، كما قال سبحانه: ﴿فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾[٨] أي كل واحد منهما ﴿اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ﴾ أي: من اتبع رضوان الله ـ أي رضاه ـ بقبول القرآن ونبوة محمدﷺ ﴿سُبُلَ السَّلامِ﴾ أي: طُرُق السلامة في كل شيء، السلامة في الدين، والسلامة في الدنيا، والسلامة في الآخرة للفرد وللمجتمع،﴿وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ﴾ فإن الحياة ظلمات لا يدري الإنسان كيف يسير في دروبها، وبالقرآن والنبي يهتدي إلى الحق ويُنير طريقه ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بإذن الله ولطفه

---

[٥] سورة الإسراء: ٩.

[٦] سورة الأنعام: ١٦١.

[٧] سورة المائدة: ١٦.

[٨] سورة البقرة: ٢٥٩.

﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يوصلهم إلى سعادة الدنيا والآخرة[٩].

القرآن سبب للهداية

ورد عن علي بن عقبة عن أبيه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «اجعلوا أمركم لله ولا تجعلوه للناس؛ فإنه ما كان لله فهو لله وما كان للناس فلا يصعد إلى الله، ولا تخاصموا الناس لدينكم؛ فإن المخاصمة ممرضةٌ للقلب، إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وآله : ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ﴾[١٠] وقال: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[١١] ذروا الناس، فإن الناس أخذوا عن الناس، وإنكم أخذتم عن رسول الله صلى الله عليه وآله إني سمعت أبي عليه السلام يقول: إن الله عزوجل إذا كتب على عبد أن يدخل في هذا الأمر كان أسرع إليه من الطير إلى وكره».[١٢]

نعم، ما من شك في أن الهداية من الله سبحانه، وإنما الهداة: القرآن الحكيم والرسول الكريم صلى الله عليه وآله وأهل البيت الطاهرون عليهم السلام، وسيلة وظرف للفيض الإلهي ولتبليغ أوامر الله عزوجل كما قال جل وعلا: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[١٣].

وفي تفسير هذه الآية المباركة نقول: بين الله تبارك وتعالى أن الكفار الذين لا يؤمنون ليس على الرسول حسابهم، حتى يجهد نفسه لكي يهديهم، بل إنما عليه البلاغ فـ﴿إِنَّكَ﴾ يا رسول الله ﴿لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ أي لا تتمكن من هداية من تحب أن يهتدي من الناس، فإن الرسول صلى الله عليه وآله كان يحب هداية عمه أبي لهب وغيره من أشراف قريش، بل الناس أجمعين، ولكنه لم يكن يتمكن من ذلك، والمراد بالهداية العمل الذي يجبرهم على الإسلام، لا مجرد إراءة الطريق، ﴿وَلكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ﴾ بأن يلطف به الألطاف الخفية حيث يراه مستعداً للإيمان مهيئاً نفسه للإذعان، فإرائة الطريق من الله والرسول صلى الله عليه وآله عامة لكل أحد. أما الألطاف الخفية فالرسول صلى الله عليه وآله لا يقدر عليها والله قادر عليها، لكنه إنما يلطف بها على

---

[٩] انظر تقريب القرآن إلى الأذهان: ج٦ ص٦٦ سورة المائدة.

[١٠] سورة القصص: ٥٦.

[١١] سورة يونس: ٩٩.

[١٢] الكافي: ج١ ص١٦٦ باب الهداية أنها من الله ح٣.

[١٣] سورة القصص: ٥٦.

من أعد نفسه وأخذ يأتي في الطريق. ولعل ممن تنطبق هذه الآية الكريمة عليه هو (سيد قطب)[١٤] صاحب كتاب (في ظلال القرآن) الذي لم يهتد بنور الإيمان؛ إذ ملأ قلبه بالحقد والغل للرسول وآله وذويه عليهم السلام، فتراه في عرض تفسيره وطوله ينتقص من الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وعمه عليه السلام وسائر ذوي قرابته في لفائف من الكلام المزيف بالتقليد الأعمى عن الأمويين أعداء الله والرسول صلى الله عليه وآله وسلم والشجرة الملعونة في القرآن، فقد أخذ يطبق هذه الآية الكريمة على أبي طالب عليه السلام، مع أنه قد ورد من طرق العامة والخاصة أن أبا طالب من أول المؤمنين بالرسول، ولو كان أبو طالب أباً لأحد كبرائهم لأهالوه بمقام الملائكة المكرمين، لكن ذنبه الوحيد أنه أبو علي أمير المؤمنين عليه السلام[١٥]. وماذا يقال في من يطبق آية ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾[١٦] على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ليبرئ ساحة عثمان الذي وردت فيه الآية، وهكذا وهلم جرا، وقد صدق الله سبحانه حيث يقول: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ وهل من محمل لعمل من يخوض دقائق الأمور، فيعرف الشعرة في الليل المظلم، ثم لا يرى الشمس الضاحية في وسط السماء، إلا العناد، وانه استحق عليه كلمة العذاب؟ وقد كنت أريد أن أنزه هذا السفر عن مثل هذه الأمور لكن غلو (قطب) جرني إلى ذلك فإنه اتى بكل ما لفقته الأموية النكراء، ولكن في لفائف حريرية، وقفازات براقة، فيظن الغير أنه بريء عن العصبية الجاهلية ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾[١٧] و: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ أي: القابلين للهداية، أو الذين اهتدوا فيجازيهم حسب علمه[١٨].

إذن، هناك أسباب ظاهرية لهذه الهداية ومن هذه الأسباب القرآن الكريم، فقد فرض الله

---

[١٤] سيد قطب: كاتب مصري، من مواليد قرية (موشا) في أسيوط، ولد عام ١٩٠٦م تخرج بكلية دار العلوم بالقاهرة سنة ١٣٥٣ وعمل في جريدة الأهرام، كتب في مجلتي (الرسالة) و(الثقافة) وعين مدرساً للعربية، ثم موظفاً في ديوان منارة المعارف، وأوفد في بعثة لدراسة (برامج التعليم) في أمريكا عام ١٩٤٨م ولما عاد انضم إلى الإخوان المسلمين،فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم سنة ١٩٥٣ وسجن معهم ثم أصدر الأمر بإعدامه سنة ١٩٦٧، قال خالد محي الدين (أحد أقطاب الثورة المصرية) في ما كتبه عن سيد قطب: من العجيب أن سيد قطب انقلب . بعد قيام الثورة . ناقماً متمرداً على كل ما يحدث حوله لا يراه إلا جاهلية مظلمة، ومن مؤلفاته (النقد الأدبي . أصول ومناهجه / العدالة الاجتماعية / مشاهد القيامة في القرآن / في ظلال القرآن / معالم في الطريق) أنظر الأعلام لخير الدين الزركلي: ج٣ ص١٣٧.

[١٥] للتفصيل راجع (إيمان أبي طالب) الشمس الدين أبي علي بن فخار بن معد الموسوي المتوفي (٦٣٠هـ)

[١٦] سورة عبس: ١.

[١٧] سورة الشعراء: ٢٢٧.

[١٨] تقريب القرآن الى الأذهان: ج٢٠ ص٧٥ سورة القصص.

(جلت عظمته) على الناس العلم والعمل بما في القرآن الكريم، فلا عذر لهم في تركه بعد أن وفر لهم من يعينهم على ذلك وهم الرّسول وأهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعين) التراجمة والمفسرون له. فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[١٩].

وقال تبارك تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا﴾[٢٠].

وقد فرض الله على العباد طاعتهم ولم يفرض طاعة غير من اصطفاه وطهره، فمن خالف الله تعالى ورسوله وأسند أمره إلى غير المصطفين خسر دنياه وآخرته.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلى يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾[٢١].

فإن قوله تعالى: ﴿يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلى يَدَيْهِ﴾ أي: أسفاً وندماً لما سبق منه من الظلم، والعض هو الأخذ بالأسنان، وكأن المتندم إنما يفعل ذلك لإرادة إيلام جسمه انتقاماً لما صدر منه مما ألقاه في هذا الندم، والعض على اليدين في الندم الشديد ﴿ يَقُولُ يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾ أي: ليتني اتبعت محمداًﷺ واتخذت معه في سبيل الهداية حتى لا أبتلي بهذا اليوم العصيب[٢٢].

أهل البيتعليهم السلام والقرآن

في الحديث الشريف وفي تفسير الآية التي مرت ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ ورد عن أبي جعفر الباقرعليه السلام: «إن من عندنا يزعمون أن قول الله عزوجل: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاتَعْلَمُونَ﴾[٢٣] أنهم اليهود و النصارى، قال: إذاً يدعونكم إلى دينهم . قال: . قال بيده إلى صدره: نحن أهل الذكر ونحن المسئولون»[٢٤].

وعن عبد الله بن عجلان عن أبي جعفرعليه السلام في قول الله عزوجل: ﴿فسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾

قالعليه السلام: «قال رسول اللهﷺ: الذكر أنا والأئمة أهل الذكر ».

---

[١٩] سورة النحل: ٤٣.

[٢٠] سورة فاطر: ٣٢.

[٢١] سورة الفرقان: ٢٧.

[٢٢] انظر تفسير تقريب القرآن إلى الأذهان: ج١٩ ص١٤ سورة الفرقان.

[٢٣] سورة النحل: ٤٣.

[٢٤] الكافي: ج١ ص٢١١ باب أن أهل الذكر الذين أمر الله الخلق بسؤالهم هم الأئمةعليهم السلام ح٧.

وقوله عزوجل: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ﴾ [٢٥]

قال أبو جعفر عليه السلام : «نحن قومه و نحن المسئولون»[٢٦].

أما وصي رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام ففي الروايات أنه المخصوص في الآية السابقة بكلمة (السبيل) حيث قال تعالى: ﴿يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾[٢٧] ، حيث قال (صلوات الله وسلامه عليه) في خطبة له عليه السلام: «فَأَنَا الذِّكْرُ الَّذِي عَنْهُ ضَلَّ،والسَّبِيلُ الَّذِي عَنْهُ مَالَ،والإِيمَانُ الَّذِي بِهِ كَفَرَ،والْقُرْآنُ الَّذِي إِيَّاهُ هَجَرَ،والدِّينُ الَّذِي بِهِ كَذَّبَ،والصِّرَاطُ الَّذِي عَنْهُ نَكَبَ»[٢٨].

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: وفد على رسول الله صلى الله عليه وآله أهل اليمن، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «جاءكم أهل اليمن يبسون بسيسا[٢٩]» فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «قوم رقيقة قلوبهم، راسخ إيمانهم، ومنهم المنصور يخرج في سبعين ألفا ينصر خلفي وخلف وصيي، حمائل سيوفهم المسك».

فقالوا: يارسول الله، ومن وصيك؟

فقال: «هو الذي أمركم الله بالاعتصام به، فقال جل و عز: ﴿واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً ولا تَفَرَّقُوا﴾[٣٠] ».

فقالوا: يا رسول الله، بين لنا ما هذا الحبل؟

فقال: «هو قول الله: ﴿ إِلا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾[٣١] فالحبل من الله كتابه والحبل من الناس وصيي».

فقالوا: يا رسول الله، من وصيك؟

فقال: «هو الذي أنزل الله فيه: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يا حَسْرَتى عَلى ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ

---

[٢٥] سورة الزخرف: ٤٤.

[٢٦] الكافي: ج١ ص٢١١ باب أن أهل الذكر الذين أمر الله الخلق بسؤالهم هم الأئمة عليهم السلام ح١.

[٢٧] تفسير القمي: ج٢ ص١١٢ سورة الفرقان.

[٢٨] الكافي: ج٨ ص٢٧ خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام وهي خطبة الوسيلة.

[٢٩] الأبساسي بالشفتين دون اللسان والنقر باللسان دون الشفتين، وقيل: إن يمسح ضرع الناقة يسكتها لتدر، وكذلك تبس الريح بالسحابة، انظر لسان العرب:: ج٦ ص٢٨ مادة (بئس).

[٣٠] سورة آل عمران: ١٠٣.

[٣١] سورة آل عمران: ١١٢

اللَّهِ﴾[٣٢] ».

فقالوا: يا رسول الله، وما جنب الله هذا؟

فقال:«هو الذي يقول الله فيه: ﴿ويَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلى يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلا﴾[٣٣] هو وصيي والسبيل إلي من بعدي».

فقالوا: يا رسول الله، بالذي بعثك بالحق نبيا أرناه فقد اشتقنا إليه؟

فقال: «هو الذي جعله الله آية للمؤمنين المتوسمين، فإن نظرتم إليه نظر من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد عرفتم أنه وصيي، كما عرفتم أني نبيكم، فتخللوا الصفوف وتصفحوا الوجوه، فمن أهوت إليه قلوبكم فإنه هو؛ لأن الله عزوجل يقول في كتابه: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾[٣٤] أي: إليه وإلى ذريتهعليهم السلام » ثم قال: فقام أبو عامر الأشعري في الأشعريين، وأبو غرة الخولاني في الخولانيين، وظبيان وعثمان بن قيس في بني قيس، وعرنة الدوسي في الدوسيين، ولاحق بن علاقة، فتخللوا الصفوف وتصفحوا الوجوه وأخذوا بيد الأنزع الأصلع البطين، وقالوا: إلى هذا أهوت أفئدتنا يا رسول الله.

فقال النبيصلى الله عليه وآله: «أنتم نجبة الله حين عرفتم وصي رسول الله قبل أن تعرفوه، فبم عرفتم أنه هو؟»

فرفعوا أصواتهم يبكون ويقولون: يا رسول الله، نظرنا إلى القوم فلم تحن لهم قلوبنا، ولما رأيناه رجفت قلوبنا ثم اطمأنت نفوسنا وانجاشت أكبادنا وهملت أعيننا وانثلجت صدورنا، حتى كأنه لنا أب ونحن له بنون.

فقال النبيصلى الله عليه وآله: « ﴿وما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ والرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[٣٥] أنتم منهم بالمنزلة التي سبقت لكم بها الحسنى، وأنتم عن النار مبعدون».

قال . جابر .: فبقي هؤلاء القوم المسلمون حتى شهدوا مع أمير المؤمنينعليه السلام الجمل وصفين فقتلوا بصفين رحمهم الله، وكان النبيصلى الله عليه وآله بشرهم بالجنة وأخبرهم أنهم يستشهدون مع

---

[٣٢] سورة الزحر: ٥٦.

[٣٣] سورة الفرقان: ٢٧

[٣٤] سورة إبراهيم: ٣٧

[٣٥] سورة آل عمران: ٧.

علي بن أبي طالب عليه السلام[٣٦].

كيف لا؟! وهو باب مدينة العلم المتمثلة بالرسول صلى الله عليه وآله ، فقد قال صلى الله عليه وآله: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»[٣٧] فاللازم التمسك بالقرآن والعترة معاً، كما صرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي إن تمسكتم بهم لن تضلوا أبداً...»[٣٨].

القرآن في الروايات

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغشّ، والهادي الذي لا يضل، والمحدّث الذي لا يكذب»[٣٩].

وقال عليه السلام: «اتبعوا النور الذي لا يطفأ، والوجه الذي لا يبلى، واستسلموا وسلموا لأمره، فإنكم لن تضلوا مع التسليم»[٤٠].

وقال عليه السلام: «من اتخذ قول الله دليلاً هدي إلى التي هي أقوم»[٤١] إشارة إلى الآية الشريفة: ﴿إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[٤٢] ومن اهتدى للتي هي أقوم عاش سعيداً ومات حميداً، فهو سعيد في الدارين».

ومن هنا ورد في الأدعية المأثورة: «اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ونفسي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدل فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميتَ به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تصلي على محمد وآل محمد، وأن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور بصري، وشفاء صدري، وذهاب غمي، وجلاء حزني، يا أرحم الراحمين»[٤٣]؛ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما أصاب أحداً هم أو غم وتوسل بهذا الدعاء إلا أذهب الله غمه ونفّس كربه وقضى حوائجه»[٤٤].

---

[٣٦] الغيبة للنعماني: ص٣٩ ب٢ ح١.

[٣٧] وسائل الشيعة: ج٢٧ ص٣٤ ح٣٣١٤٦.

[٣٨] مستدرك الوسائل: ج١١ ص٢٧٢ ب٤٩ ح١٣٢٩٤.

[٣٩] نهج البلاغة، الخطب: ١٧٦ من خطبة له عليه السلام فيهما يعظ ويبين فضل القرآن وينهى عن البدعة.

[٤٠] غرر الحكم ودرر الكلم: ص١١١ ق١ ب٤ ف٤ ح١٩٧٢.

[٤١] غرر الحكم ودرر الكلم: ص١١١ ق١ ب٤ ف٤ ح١٩٧٤.

[٤٢] سورة الإسراء: ٩.

[٤٣] إرشاد القلوب: ج١ ص٨١ ب٢٠.

[٤٤] إرشاد القلوب: ج١ ص٨١ ب٢٠.

التدبر في القرآن

قال تبارك وتعالى: ﴿كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبابِ﴾[٤٥].

وقال سبحانه: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾[٤٦].

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «تدبروا آيات القرآن واعتبروا به فإنه أبلغ العبر»[٤٧].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: ألا أخبركم بالفقيه حق الفقيه: من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يؤمنهم من عذاب الله، ولم يرخص لهم في معاصي الله، ولم يترك القرآن رغبة عنه في غيره، ألا لا خير في علم ليس فيه تفهم، ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبر، ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفكر»[٤٨].

نعم، بعد كل ذلك التأكيد والتحريض على التدبر حري بنا أن نبذل ما بوسعنا للتدَّبر في القرآن، لا مجرد القراءة فقط، وللأسف فإن البعض في زماننا هذا، يقرأ القرآن أو يستمع إلى تلاوته، لكن كقالب بلا روح، وكحروف بلا معان، وكلمات بلا مفهوم، وبالنتيجة فإنهم لا يفهمون من القرآن شيئاً، مع أن الفهم هو المقدمة الطبيعية للعمل، خلاف ما كان يحصل لدى المسلمين القدماء الذين كانوا لا يقرأون آية إلا وتفكروا فيها حتى يفهموها الفهم الكامل؛ وذلك لأنهم كانوا يمتازون بميزات عديدة عن المسلمين في عالمنا اليوم، وممكن أن تكون هذه الميزات هي بعض أسباب الانفصال الذي يحصل بين بعض المسلمين وبين القرآن.

ومن ضمن هذه الأسباب: عدم وضوح الرؤية، فإن البعض قد ارتكزت في ذهنه فكرة:أن القرآن بعيد عن الإدراك البشري، وذلك من حيث أنه كلام الله العليم الخلاق اللامتناهي، وكلام مثله سبحانه يجلّ عن أن يدركه مخلوق ضعيف وجاهل مثل الإنسان.

ولعل هذا التصور ناتج من: عدم الاستعداد الفكري؛ إذ عدم الاستعداد للتدبر في القرآن له دور مؤثر في فصل فهم روح القرآن عند البعض، فإن من يودّ أن تأتيه اللقمة سائغة

---

[٤٥] سورة ص: ٢٩.

[٤٦] سورة النساء: ٨٢.

[٤٧] غرر الحكم ودرر الكلم: ص١١١ ق١ ب٤ ح١٩٨٥.

[٤٨] منية المريد: ص١٦٢ الباب الأول في آداب المعلم والمتعلم.

من دون أن يجهد نفسه بعض الشيء في تحصيلها لا يصل إلى ما يريد، وكذلك فإن ابتعاد الجيل المسلم المعاصر عن اللغة العربية الأصلية، كان له دور كبير في عدم فهم الآيات القرآنية.

وبما أن الفهم أساس العلم فالمسلمون حيث لم يفهموا القرآن ابتعدوا عنه كثيراً.

فهذه جملة أسباب يمكن الوقوف عندها ومعالجتها بالشكل الصحيح، كي يعود المبتعدون عن القرآن إلى رشدهم، ولكي ترتفع الشبهات التي تجول في أذهانهم[٤٩].

علماً بأن الله عزوجل قد جعل للقرآن من يفسر آياته ويبينها وهم رسول الله ﷺ وأهل بيته الطاهرون عليهم السلام.

القرآن للجميع

قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنا لِلنَّاسِ فِي هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ مُبْطِلُونَ﴾[٥٠].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام مبيناً حقيقة القرآن: «نور لمن استضاء به، وشاهد لمن خاصم به، وفلج لمن حاج به، وعلم لمن وعى، وحكم لمن قضى»[٥١].

ولا يخفى أن القرآن الكريم هو رسالة الله للإنسان في الأرض، ومن الطبيعي أن تكون الرسالة متناسبة مع فهم المرسل إليه، وفي حدود مدركاته؛ ولذا نرى أنّ معظم خطاباته جاءت موجهة لعامة الناس، من قبيل قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ و: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ومن الضروري أن يكون هؤلاء المخاطبون قادرين على فهم هذه الخطابات أو بعضها إن لم نقل أجمعها . ولو بالرجوع إلى من عيّنهم الله لتفسيرها، فهذا لا يعني عدم لزوم الرجوع إلى أهل الذكر في تفسير الآيات، بل المقصود أن القرآن نزل للجميع وليس لفئة خاصة محددة من البشر، وبإمكان الجميع أن يتدبروا في القرآن ويدركوا مفاهيمه بحسب تفاوت قدراتهم العلمية، نعم هناك آيات متشابهات، أو مؤولات، يكون الإنسان بحاجة إلى مراجعة الرسول ﷺ وأهل البيت عليهم السلام في معرفة المقصود منها.

من خصائص القرآن

---

[٤٩] لمزيد الاستفادة والتفصيل راجع كتاب (التدبر في القرآن) لآية الله السيد محمد رضا الشيرازي (دام ظله) ففيه من روائع ما كتب في هذا المجال.

[٥٠] سورة الروم: ٥٨.

[٥١] غرر الحكم ودرر الكلم: ص١١٠ ق١ ب٤ ف٤ ح١٩٦٧ .

إن من الميزات والخصائص التي يختص بها القرآن الكريم، أنه جديد دائماً، جديد في كلماته ومعانيه، وإيحاءاته وآياته، فحين يتلو الإنسان آيات القرآن بتأمل وإنصات، يشعر بأنه خطاب جديد: يُنذر ويحذّر، ويوجّه ويُبشّر، وفي الآيات والروايات إشارات على تجدد القرآن وحداثته، وأنه لم يفقد يوماً تجدده ، ولن يُعدم حداثته أبداً، قال الله تعالى: ﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلى ذِكْرِ اللهِ﴾[٥٢].

وقال عزوجل: ﴿تِلْكَ آياتُ اللهِ نَتْلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ وَآياتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾[٥٣].

وقال عليه السلام: « إن القرآن ظاهره أنيق، وباطنه عميق، لا تفنى عجائبه، ولا تنقضي غرائبه، ولا تكشف الظلمات إلا به»[٥٤] .

مع الفضيل بن عياض

ذكر في أحوال الفضيل بن عياض[٥٥] أنه كان في بداية حياته من الأشرار، وكان مجرد ذكر اسمه كافياً لإثارة الرعب في القلوب، فقد كان يقطع الطريق على القوافل، ويسلب المسافرين كل ما يملكون من نقود وأمتعة، وفي أحد الأيام وقعت عينه على فتاة وأخذت بمجامع قلبه، فصمم في نفسه أمراً سيّئاً، وفي نفس تلك الليلة جاء يتسلق جدار ذلك البيت الذي تسكنه الفتاة، وهو ينوي الاعتداء عليها واغتصابها، وفي هذه الأثناء تناهى إلى مسامعه صوت والد البنت الذي كان قد قام في الليل للتهجد والعبادة يعلو صوته بتلاوة هذه الآية الكريمة: ﴿أَ لَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ﴾ [٥٦].

فأخذ الفضيل بن عياض يتأمل في هذه الآية بضع ثوان، فهزته من الأعماق وأخذ يردد

---

[٥٢] سورة الجاثية: ٦.

[٥٣] سورة الزمر: ٢٣.

[٥٤] نهج البلاغة والخطب: ١٨ من كلام له عليه السلام في ذم اختلاف العلماء في الفتيا وفيه يذم أهل الرأي.

[٥٥] هو أبو علي الفضل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي الفنديني (١٠٥- ١٨٧هـ) الزاهد المشهور، ولد بأبيورد من بلاد خراسان وقيل: بسمرقند، ونشأ بأبيورد، قدم الكوفة وسمع الحديث بها، ثم انتقل إلى مكة وجاور بها إلى أن مات في المحرم سنة (١٨٧) وقبره بها . وله كلمات ومواعظ مشهورة. قال عنه النجاشي في رجاله: الفضيل بن عياض بصري، ثقة، روى عن أبي عبد الله عليه السلام نسخة ، أخبرنا علي بن أحمد، عن محمد بن الحسن، عن سعد، عن القاسم بن محمد الاصبهاني قال: حدثنا سليمان بن داود، عن فضيل بكتابه. انظر رجال النجاشي: ص٣١٠ الرقم ٨٤٧. والأعلام لخير الدين الزركلي: ج٥ ص١٥٣.

[٥٦] سورة الحديد: ١٦.

في نفسه ويتمتم: يارب بلى قد آن، ثم نزل من أعلى الجدار متذكراً تائباً، وذهب باتجاه المسجد فاعتكف فيه وصار من الأخيار إلى آخر حياته. فهذا الإنسان قد تدبر بآية واحدة من آيات القرآن، فكيف بالذي يتدبر في القرآن أجمع[٥٧].

بعض آثار التلاوة

لقد كان أولياء الله المعصومون عليهم السلام يتلون القرآن بوعي وتدبر، حتى كان يظهر ذلك عليهم بوضوح، فقد كانت جلودهم تقشعر وقلوبهم ترتجف حينما يقرؤون آية، بل ربما كانوا يصعقون لعظمة وقع الآية في نفوسهم، فقد روي عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال: « والله لقد تجلى الله لخلقه في كلامه، ولكن لا يبصرون»[٥٨].

وقال أيضاً عليه السلام وقد سألوه عن حالة لحقته في الصلاة حتى خر مغشياً عليه، فلما سري عنه قيل له في ذلك؟

فقال: « مازلت أردد الآية على قلبي وعلى سمعي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته».[٥٩]

وروي عنه عليه السلام أيضا أنه كان يتلو القرآن في صلاته فغشي عليه، فلما أفاق سئل: ما الذي أوجب ما انتهت حالك إليه؟

فقال ـ ما معناه ـ: «ما زلت أكرر آيات القرآن حتى بلغت إلى حال كأنني سمعت مشافهة ممن أنزلها على المكاشفة والعيان» [٦٠].

وهذا ما يفيضه القرآن على المتدبر بآياته من خشوع وخشية من الله سبحانه وتعالى.

القرآن والخوف من الله

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ﴾[٦١].

فإن معناه: ليس يخاف الله حق خوفه ولا يحذر معاصيه خوفا من عقابه إلا العلماء، الذين يعرفون حقيقة ذلك، فأما الجهال ومن لا يعرف الله فلا يخافونه مثل ذلك، وكذلك

---

[٥٧] سفينة بحار الأنوار: ج٧ ص١٠٣ باب الفاء بعده الضاد.

[٥٨] مفتاح الفلاح: ص٣٧٢ خاتمة.

[٥٩] انظر تفسير الصافي: ج١ ص٧٣ المقدمة١١ في نبذة مما جاء في كيفية التلاوة وآدابها.

[٦٠] فلاح السائل: ص١٠٧ ف١٧ ذكر أدب العبد في قراءة القرآن....

[٦١] سورة فاطر: ٢٨.

ينظر العلماء في حجج الله وبيناته ويفكرون في ما يفضي بهم إلى معرفته[٦٢].

لذا فإن الاعتبار بالآيات القرآنية إنما يؤثر أثره، ويورث حقيقة الإيمان بالله، وواقع الخشية من الله وبكل معنى الكلمة، في العلماء الذين يعرفون الله سبحانه وتعالى معرفة تامة، تطمئن بها قلوبهم، وتزول عبرها حيرة الشك والقلق عن نفوسهم، فيتجسد لديهم الخوف الحقيقي وهو الخوف المطلوب ـ الخوف من الله ـ فهو خالق الكون والإنسان، وهو القوة المسيطرة، فهو المصوّر المنشئ الخالق البارئ، الذي يمدنا بالوجود والحياة، والخيرات والنعم، ولو تركنا لحالنا أو وكلنا إلى أنفسنا لحظة واحدة، أو طرفة عين، لأصبح وجودنا عدماً محضاً.

سئل أبو عبد الله عليه السلام: ما كان في وصية لقمان؟

قال عليه السلام: «كان فيها الأعاجيب، وكان أعجب ما كان فيها أن قال لابنه: خف الله خيفةً لو جئته ببر الثقلين لعذبك، وارج الله رجاءً لو جئته بذنوب الثقلين لرحمك» ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: «كان أبي يقول: ليس من عبدٍ مؤمنٍ إلا وفي قلبه نوران: نور خيفة ونور رجاء، لو وزن هذا لم يزد على هذا، ولو وزن هذا لم يزد على هذا».[٦٣]

طبيعة الخوف[٦٤]

---

[٦٢] التبيان في تفسير القرآن: ج٨ ص٤٢٧ سورة فاطر.

[٦٣] وسائل الشيعة: ج١٥ ص٢١٦ ب١٣ ح٢٠٣١١.

[٦٤] يعتبر الخوف حالة نفسية ناتجة عن الشعور بانعدام الأمن، ولعله من أبرز الانفعالات الإنسانية، وهو استجابة الفعالية التي تنتج عن خلل طارئ يخرج بالإنسان عن مسار سلوكه الاعتيادي، أو هو حالة تتبلور على صورة دافع يعرقل اندفاع الإنسان نحو مقارعة المشاكل وإزالة العوائق التي تعترض سبيله في الحياة، فيسلب القدرة على السعي نحو العمل الدؤوب، وتتلاشى على أثر ذلك قدرته الإدارية فيفقد القدرة على الفعل والحركة، بل حتى على الكلام والدفاع عن نفسه في بعض الاحيان. فالخوف استجابة لخطر آني واضح من مظاهر خارجية أو مشهودة، أو يمكن رؤيتها وتصورها. وهو أنه استجابة لتهديدات واقعية أو وهمية، تظهر لدى الإنسان حينما يجد نفسه معرّضاً للإصابة بالضرر أو الفناء، فتثير فيه الرغبة نحو حفظ وجوده وصيانة ذاته. ولا يختص الخوف بفئة معينة دون سواها، ولا يوجد هناك شخص أو جماعة في معزل عنه أو خارجين عن نطاق تأثيره، فالخوف موجود لدى جميع الناس مع تفاوت في الشدة والضعف. وللخوف أعراض الظاهرية منها: ارتعاش الجسم وشحوب اللون واصفرار الوجه والذهول، وربما نضوح قطرات من العرق على الوجه، والقشعريرة وغير ذلك. أما الآثار الداخلية فهي: اضطراب المزاج، والشعور بالحيرة، وفقدان الشهية، وتقلص الأوتار الصوتية، والشعور بوجود ثقل على الصدر، والشعور بألم في القلب وجوانبه، وضعف قواه العقلية، وفقدان الحنان والعاطفة كما عبر عنه في القرآن الكريم: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وَتَرَى النَّاسَ سُكارى وَما هُمْ بِسُكارى وَلكِنَّ عَذابَ اللهِ شَدِيد﴾ سورة الحج: ٢.

والخوف ليس كالجبن بمعناه النفسي والانفعالي؛ لأن الجبن من الناحية الواقعية رذيلة قد تكون على صلة بالخوف ولكنها أمر مرضي من جهة، وعلى صلة وثيقة بالأخلاق والمفاهيم السلاكية من جهة أخرى، أما الخوف فهو انفعال على صلة

إن الخوف الذي هو من طبيعة الإنسان وفطرته ـ في الجملة ـ ليس نقصاً أو عيباً، فلو نظر الإنسان إلى حيوان مفترس لانتابه شيء من الشعور بالخوف، الخوف من أن ينقضَّ عليه ويؤدي به إلى الموت، وهذا شعور طبيعي لدى الإنسان، والقرآن لا ينكره ولا يعتبره نقصاً أو عيباً، وإنما النقص والعيب في الخوف مما لا يُخاف منه، وفي الإفراط أو التفريط في الشعور بالخوف من غير الله سبحانه، فإن الخوف من الله سبحانه لا إفراط فيه وهو ممدوح، وإنما الخوف المذموم هو الذي يحصل من الأشياء التي لا تستحق أن يخافها الإنسان، وفي الحالة التي يقف فيها الخوف عقبة في طريق تقدم الإنسان وحريته وكرامته، فإنها هي الحالة المرفوضة بالأساس وهي التي تسمى بالجبن، لا تلك الحالة الطبيعية، التي يمرَّ بها حتى الأنبياء والأولياء، من ذوي النفوس المختارة الزَّكية، الطاهرة النقية، الذين أشار الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز إلى بعض منهم.

نموذجان قرآنيان للخوف الممدوح

النموذج الأول:

لقد أشار الله تعالى إلى النبي موسى﵇ ذلك الرسول الذي أعده الله تعالى لمواجهة الطاغية المتجبر: فرعون، وزوّده بالآيات والمعجزات، ولكنه رغم ذلك كله يقول سبحانه: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسى﴾[٦٥].

وذلك حينما ألقى السحرة الحبال والعصيّ، فتحولت إلى حيّات كادت تلتهم جموع المتفرجين، ولكنه تدارك الموقف بعد أن أسعفته السماء بتوجيهها وعنايتها، فكسر هذا الهاجس لديه وتحدى السحرة بكل ثبات، وقد جاء في بعض التفاسير قوله تعالى: ﴿أَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ﴾ أي:وجد في نفسه ما يجده الخائف، ويقال:أوجس القلب فزعا،أي: أضمر، والسبب في ذلك أنه خاف أن يلتبس على الناس أمرهم فيتوهموا أنهم فعلوا مثل ما فعله، ويظنوا المساواة فيشكوا ولا يتبعونه، وقيل: إنه خوف الطباع إذا رأى الإنسان أمرا فظيعا فإنه يحذره ويخافه في أول وهلة، وقيل: إنه خاف أن يتفرق الناس قبل إلقائه العصا، وقبل أن

بالعقل والإدراك والجسد، فالإنسان لا ينتابه الخوف إلا إذا أدرك وجود خطر يهدد حياته، والذي لا يدرك وجود الخطر، إما عن جهل أو عن سهو وعدم انتباه لا يخاف، وقد يستثار الخوف على وجه العموم بأي موقف يهدد تكامل الإنسان. راجع (الأطفال ومشاعر الخوف والقلق) لعلي قائمي: ص٩ـ ٢٤. و(في سبيل موسوعة نفسية، تغلب على الخوف): ص٦.

[٦٥] سورة طه: ٦٧.

يعلموا ببطلان السحرة فيبقوا في شبهة، وقيل: إنه خاف لأنه لم يدر أن العصا إذا انقلبت حية هل تظهر المزية؛ لأنه لم يعلم أنها تتلقفها وكان ذلك موضع خوف، لأنها لو انقلبت حية ولم تتلقف ما يأفكون ربما ادعوا المساواة لا سيما والأهواء معهم والدولة لهم، فلما تلقفت زالت الشبهة[٦٦].

فإن قيل: فمن أي شيء خاف موسى عليه السلام حتى حكى الله تعالى عنه من الخيفة في قوله تعالى ـ الآية ـ أو ليس خوفه يقتضي شكه في صحة ما أتى به؟

الجواب: لم يخف من الوجه الذي تضمنه السؤال، وإنما رأى من قوة التلبيس والتخييل ما أشفق عنده من وقوع الشبهة على من لم يمعن النظر، فأمنه الله تعالى من ذلك وبين له أن حجته ستتضح للقوم بقوله تعالى: ﴿ قُلْنا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلى﴾[٦٧].

إذن، خوف موسى عليه السلام كان لأجل هداية الناس وفي سبيل الله تعالى وليس خوفاً لمصلحة شخصية.

النموذج الثاني:

وهكذا في قصة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع ما قد أمده الله تعالى بالعزيمة وعدم الخوف، فإنه صلى الله عليه وآله وسلم عندما علم من قبل الله سبحانه أن ربيبه: زيد بن حارثة[٦٨] الذي رباه ورعاه سيطلّق زوجته: زينب بنت جحش[٦٩]، وأن الله سيزوجه إياها، كان صلى الله عليه وآله وسلم يؤكد على زيد لكي لا يطلقها

---

[٦٦] راجع تفسير مجمع البيان: ج٧ ص٣٩ سورة طه.

[٦٧] انظر تنزيه الأنبياء: ص٧١ في تنزيه موسى عليه السلام.

[٦٨] أم المؤمنين زينب بنت جحش بن رباب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة، أمها: عمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي. كانت ممن هاجر مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة، تزوجها زيد بن حارثة، ثم طلقها وتزوجها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، كان ذلك في سنة خمس من الهجرة، قالت زينب بنت جحش: لما جاءني الرسول بتزويج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إياي جعلت لله علي صوم شهرين، وقالت يوما: يا رسول الله، إني والله ما أنا كأحد من نسائك؛ ليست امرأة من نسائك إلا زوجها أبوها أو أخوها وأهلها غيري زوجنيك الله من السماء. وعن أم سلمة قالت: ذكرت بعض ما كان يكون بينها ـ زينب ـ وبين عائشة فقالت زينب: إني والله ما أنا كأحد من نساء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنهن زوجهن بالمهور وزوجهن الأولياء وزوجني الله رسوله، وأنزل في الكتاب يقرأ به المسلمون لا يبدل ولا يغير، توفيت (رضوان الله عليها) سنة (٢٠هـ) وهي في الخمسين من عمرها وهي أول نساء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحوقاً به، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأزواجه: «يتبعني أطولكن يدا» قالت عائشة: فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم نمد أيدينا في الجدار نتطاول فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش، وكانت امرأة قصيرة يرحمها الله ولم تكن أطولنا، فعرفنا حينئذ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنما أراد بطول اليد الصدقة، وقالت: وكانت زينب امرأة صناع اليد فكانت تدبغ وتخرز وتتصدق في سبيل الله. توفيت زينب بنت جحش وهي ابنة ثلاث وخمسين سنة. انظر أعيان الشيعة: ج٧ ص١٣٢، والطبقات الكبرى: ج٨ ص١٠١. ١١٥ ذكر أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، زينب بنت جحش.

[٦٩] زيد الحب بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ود، أمه سعدى بنت ثعلبة بن عبد عامر من بني معن من طي، زارت سعدى أم زيد بن حارثة قومها وزيد معها، فأغارت خيل لبني القين بن جسر في الجاهلية فمروا على

خوفاً من الاتهامات والشائعات، التي يمكن أن تحاك من قبل المنافقين ضدّهﷺ، لكن الوحي نزل على الرسولﷺ وقال: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا

أبيات بني معن رهط أم زيد فاحتملوا زيدا إذ هو يومئذ غلام يفعة قد أوصف، فوافوا به سوق عكاظ فعرضوه للبيع فاشتراه منهم حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد لعمته خديجة بنت خويلد بأربع مائة درهم، فلما تزوجها رسول اللهﷺ وهبته له فقبضه رسول اللهﷺ وقد كان أبوه حارثة بن شراحيل حين فقده قال:

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل — أحي فيرجى أم أتى دونه الأجل
فوالله ما أدري وإن كنت سائلا — أغالك سهل الأرض أم غالك الجبل
فيا ليت شعري هل لك الدهر رجعة — فحسبي من الدنيا رجوعك لي بجل

فحج ناس من كلب فرأوا زيدا فعرفهم وعرفوه فقال: بلغوا أهلي هذه الأبيات فإني أعلم أنهم قد جزعوا علي، وقال:

ألكني إلى قومي وإن كنت نائيا — بأني قطين البيت عند المشاعر
فكفوا من الوجد الذي قد شجاكم — ولا تعملوا في الأرض نص الاباعر
فإني بحمد الله في خير أسرة — كرام معد كابرا بعد كابر

قال: فانطلق الكلبيون وأعلموا أباه، فقال: ابني ورب الكعبة، ووصفوا له موضعه وعند من هو، فخرج حارث وكعب ابنا شراحيل بفدائه وقدما مكة، فسألا عن النبيﷺ فقيل: هو في المسجد فدخلا عليه، فقالا: يا بن عبد الله، يا بن عبد المطلب، يا بن هاشم، يا بن سيد قومه، أنتم أهل الحرم وجيرانه، وعند بيته تفكون العاني، وتطعمون الأسير، جئناك في ابننا عندك، فامنن علينا وأحسن إلينا في فدائه، فإنا سنرفع لك في الفداء. قال: «من هو؟». قالوا: زيد بن حارثة. فقال رسول اللهﷺ: «فهل أنتم لغير ذلك؟». قالوا: ما هو؟ قال: «دعوه فخيروه، فإن اختاركم فهو لكما بغير فداء، وإن اختارني، فو الله، ما أنا بالذي أختار على من اختارني أحدا». قالا: قد زدتنا على النصف وأحسنت. قال: فدعاه، فقال: «هل تعرف هؤلاء؟». قال: نعم، قال: «من هما». قال: هذا أبي وهذا عمي، قال: «فإنا من قد علمت ورأيت صحبتي لك، فاختر أو اخترهما». فقال زيد: ما أنا بالذي أختار عليك أحدا؛ أنت مني بمكان الأب والأم، فقالا: ويحك يا زيد، أتختار العبودية على الحرية، وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك؟! قال: نعم؛ إني قد رأيت من هذا الرجل شيئا ما أنا بالذي أختار عليه أحدا أبدا، فلما رأى رسول اللهﷺ ذلك أخرجه إلى الحجر، فقالﷺ: «يا من حضر، اشهدوا أن زيدا ابني أرثه ويرثني». فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت أنفسهما وانصرفا، فدعي: زيد بن محمد حتى جاء الله بالإسلام، وزوجه رسول اللهﷺ زينب بنت جحش بن رئاب الأسدية وأمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم، فطلقها زيد بعد ذلك فتزوجها رسول اللهﷺ. وكان بين رسول اللهﷺ وبين زيد بن حارثة عشر سنين فإن رسول اللهﷺ أكبر منه، وكان زيد رجلا قصيرا آدم شديد الأدمة في أنفه فطس، وكان يكنى: أبا أسامة. وآخى رسول اللهﷺ بين زيد بن حارثة وحمزة بن عبد المطلب، وآخى رسول اللهﷺ بين زيد بن حارثة وأسيد بن حضير ، زوجه رسول اللهﷺ أم أيمن حاضنة رسول اللهﷺ ومولاته، وجعل له الجنة، فولدت له أسامة، فكان يكنى به، وشهد زيد بدراً وأحداً واستخلفه رسول اللهﷺ على المدينة حين خرج النبيﷺ إلى المريسيع، وشهد الخندق، والحديبية، وخيبر، وكان من الرماة المذكورين من أصحاب رسول اللهﷺ. روي: ما بعث رسول اللهﷺ زيد بن حارثة في جيش قط إلا أمّره عليهم، وأول سرية خرج فيها زيد سريته إلى القردة، ثم سريته إلى الجموم، ثم سريته إلى العيص، ثم سريته إلى الطرف، ثم سريته إلى حسمى، ثم سريته إلى أم قرفة، ثم عقد له رسول اللهﷺ على الناس في غزوة مؤتة وقدمه على الأمراء، فلما التقى المسلمون والمشركون كان الأمراء يقاتلون على أرجلهم فأخذ زيد بن حارثة اللواء فقاتل وقاتل الناس معه والمسلمون على صفوفهم، فقتل زيد طعنا بالرماح شهيدا فصلى عليه رسول اللهﷺ وقال: «استغفروا له وقد دخل الجنة وهو يسعى» وكانت مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة، وقتل زيد يومئذ وهو ابن خمس وخمسين سنة.

انظر: الطبقات الكبرى: ج٣ ص٤٠ الطبقة الأولى ذكر زيد الحب.

مِنْهُنَّ وَطَراً وَكانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً ﴾[٧٠].

ولقد ورد في تفسير الآية المباركة: أنه لما تزوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش، ثم أراد الله سبحانه أن يزيل العقبة التي كانت بعد أمام المسلمين في أمر التزوج من نساء أدعيائهم، فقد كانوا يرون أن ذلك من قبيل نكاح الأب زوجة ابنه؛ ولذا لما طلق زيد زينبا . ولعله كان لما نقل أنها كانت حادة المزاج، فلم يتلائم الزوجان . نكحه رسول اللهﷺ تتميماً للتشريع الذي سبق في أول السورة ﴿وما جَعَلَ أَدْعِياءَكُمْ أَبْناءَكُمْ ﴾[٧١] ومن غريب الأمر: أن جماعة من الناس اختلقوا حول هذه القصة روايات تنافي أصول الإسلام والعقيدة، حتى أن علي بن إبراهيم القمي[٧٢] على جلالته لم يسلم من الوقوع ضحية ذلك الاختلاف، كما لم يسلم من الوقوع ضحية قول المعاندين في آية: ﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[٧٣]، فسبحان من لم يخلق الإنسان معصوماً إلا الأنبياء والأئمة عليهم السلام ومن إليهم، ﴿وَ﴾ اذكر يا رسول الله ﴿إِذْ تَقُولُ﴾ لزيد بن حارثة الذي دعوته ابناً لك قبل نزول آية: ﴿وما جَعَلَ أَدْعِياءَكُمْ أَبْناءَكُمْ ﴾ ﴿ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ﴾ بالإسلام والإيمان، ومصاحبة الرسول ﴿ وَأَنْعَمْتَ﴾ أنت ﴿عَلَيْهِ﴾ بالكفاية والتربية والتحرير والتعليم، وتزويجه بزينب الشريفة الهاشمية ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ ولا تطلقها، فقد وقعت بينهما المشاجرة، فأراد زيد طلاقها . وقد تقدم أنها

---

[٧٠] سورة الأحزاب: ٣٧.

[٧١] سورة الأحزاب: ٤.

[٧٢] علي بن ابراهيم بن هاشم القمي صاحب التفسير المعروف باسمه، ولد في عائلة تعرف بالتدين والإيمان والمحبة لآل البيتعليهم السلام. والده من كبار رواة الشيعة، وهو منذ طفولته بدأ بالدراسة على يديه، سمع الحديث من كثير من الرواة والمحدثين، وأصبح هو أيضاً بعد ذلك من المحدثين البارزين في مدينة قم المقدسة، وهو أول من أشاع روايات أهل الكوفة في هذه المدينة، و يعد في الحقيقة شيخ قم ووجيهها. نقلت عنه الموسوعات الروائية الشيعية أحاديث كثيرة روى أكثرها عن والده، يحظى باحترام خاص من علماء الشيعة وفقهائها، وقد أورد الشيخ الكليني في كتابه الكافي كثيراً من رواياته المستندة إليه. يعتبر من أوائل رواة الحديث الكبار في مدينة قم و يطلق عليه الفقهاء عنوان أستاذ مشايخ قم، كما يعدونه من أكبر الشخصيات في تلك المدينة.

مؤلفاته: نوادر القرآن، الناسخ والمنسوخ، قرب الإسناد، الشرايع، الحيض، التوحيد والشرك، فضائل أمير المؤمنينعليه السلام، المغازي، الأنبياء، و...، إضافة إلى تفسيره الشهير الذي يعتبر من أقدم التفاسير التي تكشف القناع عن وجه أسرار الآيات النازلة في حق أهل البيت عليهم السلام وحظي هذا التفسير باهتمام بالغ بين مفسري الشيعة، وتوجد نسخ خطية من هذا التفسير في مكتبة آية الله السيد الحكيم في النجف الأشرف. ونسخة أخرى في مكتبة آية الله كاشف الغطاء في النجف الأشرف، توفي سنة (٣٢٩هـ) انظر رجال النجاشي: ج٢ ص٨٦.

[٧٣] سورة القصص: ٥٦.

كانت ذات حدة في أخلاقها، كما ذكروا . والإتيان بلفظ ﴿عَلَيْكَ﴾ لما في الإمساك من الثقل، حتى كأنه حمل على الإنسان ﴿ وَاتَّقِ اللهَ﴾ يا زيد في مفارقتها ومضارتها، ومعاشرتها، فلا تعاشرها إلا حسناً جميلاً ﴿وَ﴾ قد كان الله سبحانه أخبر الرسول أنه سيطلق زينبا، وان الرسولﷺ يتزوجها لتحطيم قاعدة «البنوة» الجاهلية، ولما كان الرسولﷺ يعلم ما يحدثه هذا العمل من الضجة، في ذلك المجتمع الجديد العهد بالإسلام، خشى إظهاره؛ ولذا قال سبحانه لهﷺ و ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ﴾ يا رسول الله، إرادتك زواجها بأمر الله بعد طلاقها ﴿ مَا اللهُ مُبْدِيهِ﴾ أي الشيء الذي الله يظهره بعد ذلك ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ﴾.

وقد قال بعض: كيف يخشى النبي الناس؟

فلنقل: هل كان النبي يخشى من العقرب أن تلدغه، أو السبع أن يفترسه؟ فإن قالوا: نعم، قلنا: ما الفرق حتى جوزتم تلك الخشية، ولم تجوزوا هذه الخشية، من كلام الناس وطعنهم؟ وإن قالوا: لا، قلنا: فأي دليل على أنه ينافي مقام العصمة الخشية من الضار والمؤذي، فإن ما ثبت هو أن الرسولﷺ معصوم، لا أنه مسلوب عنه صفات البشرية من خشية واضطراب، وجوع وعطش، وفي قصة موسىؑ: ﴿ إِنَّنا نَخافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنا﴾[٧٤] و: ﴿ فَخَرَجَ مِنْها خائِفاً﴾[٧٥]، وأما قوله: ﴿وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ ﴾ فهو من باب الجناس المليح، نحو قوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ ما لَبِثُوا غَيْرَ ساعَةٍ﴾[٧٦] وقول الرضاؑ: «إن كنت باكياً لشيء، فابك للحسين عليه السلام»[٧٧] فإن الإنسان إذا هاج به وصف نفسي، قيل له: وجّه هذا الوصف إلى جهة أصلح، فمن هاجت به العاطفة نحو جادة، قلنا له: اعطف على ولدك، أو نقول: إن ولدك أحق بالعطف، ولا نريد بذلك أن العاطفة نحو الجار غير حسنة، وإنما نريد توجيهه نحو ما هو الأصلح بحاله ﴿ فَلَمَّا قَضى زَيْدٌ مِنْها﴾ أي: من زوجته زينب ﴿وَطَراً﴾ أي: حاجة، بأن تم حاجته فيها، وطلقها، حيث لم يتلائما ﴿ زَوَّجْناكَها﴾ أي: أمرنا بتزويج زينب ﴿ لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْواجِ أَدْعِيائِهِمْ﴾ أي: لتكون أنت أول من ينقض هذه العادة الجاهلية عملاً؛ حتى لا يتحرج

---

[٧٤] سورة طه: ٤٥.

[٧٥] سورة القصص: ٢١.

[٧٦] سورة الروم: ٥٥.

[٧٧] وسائل الشيعة: ج١٤ ص٥٠٢ ب٦٦ ح١٩٦٩٤.

المؤمنون بعدك من أخذ زوجة المتبنى لهم ﴿ إذا قَضَوْا﴾ أولئك الأدعياء ﴿ مِنْهُنَّ﴾ أي: من زوجاتهم ﴿وَطَراً﴾ أي: حاجة، بأن طلقوهن، فإن الطلاق لا يكون إلا بعد عدم الرغبة، والحاجة في الزوجة ﴿وَكانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً﴾ أي: أن الشيء الذي يريده الله لابد وأن يُفعل ويُؤتى في الخارج، فتزوجها رسول اللهﷺ وضمها إلى نسائه[٧٨].

إذن، هذه الحالة من الخوف الممدوح هي حالة طبيعية لدى كل إنسان، ويظهر منه أن عظمة الرجال الأشداء ليست في أنهم لا يخافون، وإنما لأنهم يكسرون حاجز الخوف ولا يتركونه يسيطر عليهم في تقييد أفعالهم، فالخوف الذي يحدّد الإنسان ويجبّنه هو الخوف المذموم ولابد من تجاوزه والتخلي عنه بشتى الوسائل، أما الخوف الممدوح والمطلوب بقاؤه فهو: الخوف من الله سبحانه وتعالى؛ إذ أية قوة تستحق أن يخشاها الإنسان في هذا الوجود، لا تساوي أي شيء أمام قوة الله تبارك وتعالى.

تخويف القرآن من العذاب

قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَ فَلَمْ يَرَوْا إِلى ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ مِنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً مِنَ السَّماءِ إِنَّ فِي ذلِكَ لآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾[٧٩].

فإنه ليس بإمكاننا أن نقدّر مدى احتياجنا إلى رحمة الله تبارك وتعالى، فإن وجودنا كله مرتبط بمشيئته عزوجل، فإذا اقتضت مشيئته أن نكون عدماً محضاً فلا مانع يمنع من ذلك.

قال تعالى: ﴿وَللهِ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرْضِ وَكَفى بِاللهِ وَكِيلاً۞ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكانَ اللهُ عَلى ذلِكَ قَدِيراً﴾[٨٠].

ومن المعلوم: أن هذه الأرض التي نحن عليها، نتغذى منها ونستمد مما بثّ الله تعالى فيها من مختلف النعم، تغمر مياه المحيطات والبحار أكثر من ثلاثة أرباعها، فمالذي يمنع هذه البحار والمحيطات أن تزحف بطوفانها على الربع المسكون فتغرقه وتجعله كأن لم يكن لولا إرادة الله؟

---

[٧٨] راجع تفسير (تقريب القرآن إلى الأذهان): ج٢٢ ص١٨ سورة الأحزاب.

[٧٩] سورة سبأ: ٩.

[٨٠] سورة النساء: ١٣٢.١٣٣.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ وَلا هُمْ يُنْقَذُونَ﴾[٨١].

نعم، هذا نزرٌ يسير من مظاهر احتياجنا إلى رحمة الله في الحياة الدنيا، فكيف بنا إذا غادرنا هذه الحياة وانتقلنا إلى الحياة الآخرة؟!

القرآن ومستدعيات الخوف الحقيقي

إن الارتباط بمشيئة الله ورحمته في الحياة الأخرى، سوف يكون أشد وأقوى بكثير مما عليه في الحياة الدنيا، فهناك حيث الوحشة والوحدة والحساب والعقاب، حتى إن الإنسان يفرّ من عائلته ذويه، وأقربائه وأصدقائه، ويكون همه النجاة بنفسه.

قال سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذا جاءتِ الصَّاخَّةُ ۞ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ۞ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ۞ وَصاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ۞ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ۞ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ۞ ضاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ۞ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْها غَبَرَةٌ۞ تَرْهَقُها قَتَرَةٌ۞ أُولئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾[٨٢].

إذن، هناك ما يستدعي الخوف الحقيقي؛ إذ كل ما كان يحذره الإنسان في الحياة الدنيا ويخافه لا يكون أمام أخطار الآخرة وصعوباتها إلا كلا شيء، فلتكن لدينا وقفة تأمّل نستحث بها أفكارنا، ونسأل: لماذا يتولد لدينا الخوف ويسيطر على تصرفاتنا بسبب قوى زائفة، ومن أجل قدرات زائلة، لا تملك أيّ اعتبار أمام تلك القوة الحقيقية والقدرة الذاتية، ألا وهي قوة الله سبحانه وتعالى وقدرته الأزلية؟

فإن الله سبحانه وتعالى يذكّر بهذه الحقيقية في كتابه العزيز بقوله عزوجل: ﴿ذلِكُمُ الشَّيْطانُ يُخَوِّفُ أَوْلِياءهُ فَلا تَخافُوهُمْ وَخافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٨٣].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٨٤].

فعلى الإنسان أن يدرك هذه الحقيقة، ويعلم أن جميع أعماله سوف تعرض عليه يوم القيامة، وأن هذه الدنيا وصعوباتها هي محطة للابتلاء والاختبار لمقدار قوة إرادة الإنسان وكيفية سلوكه، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَياةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ

---

[٨١] سورة يس: ٤٣.

[٨٢] سورة عبس: ٣٣.٤٢.

[٨٣] سورة آل عمران: ١٧٥.

[٨٤] سورة التوبة: ١٣.

عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾[٨٥].

ثمرة الخوف من الله تعالى

فالخوف من الله ومن عذاب الآخرة، الذي يحصل عليه الإنسان من خلال التدبر في آيات القرآن، يدفع بالإنسان إلى العمل الصالح، الذي يرضي الله ورسوله، ويسعد المؤمن في هذه الدنيا ويوم القيامة، ويجنبه العذاب والشقاء في الدارين.

إذن، فالخوف من الله منهج سديد وسلوك قويم، يزرع في صاحبه العفة والتقوى ويدعوه إلى الالتزام بحدود الله، وترك المعاصي والذنوب، والابتعاد عن الظلم والاعتداء على الآخرين.

فهذا هابيل ابن آدم عليهما السلام لم يقتل أخاه قابيل لأنّ الخشية من الله ملأت قلبه، على العكس من قابيل الذي بادر إلى قتله، قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبا قُرْباناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِما وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قالَ لأَقْتُلَنَّكَ قالَ إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ۞ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي ما أَنَا بِباسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخافُ اللهَ رَبَّ الْعالَمِينَ﴾[٨٦].

وهكذا يكون الإنسان عضواً نافعاً في المجتمع إن خاف الله تبارك وتعالى خوفاً صادقاً، فإن الخوف من الله عزوجل هو من الأسباب التي تدعو الإنسان إلى احترام بني نوعه، وإلى تحمل جزء من ا لمسؤولية تجاه نفسه والمجتمع.

الدنيا والآخرة في القرآن

ثم إن الذي يفصل بين حياته اليوم، وبين حياته غداً، لا يستطيع أن يؤمن بتأثير عمله وسلوكه الفعلي في حياته المستقبلية.

كما إن الذي يفصل بين نفسه، وبين الطبيعة والمجتمع، لا يستطيع أن يفهم التأثير المتبادل بينهما، فكما أن الطبيعة والمجتمع لهما تأثير عليه، فكذلك أعماله لها تأثير على الطبيعة والمجتمع، والتدبر في القرآن يورث وجداناً واعياً يعي هذا التأثير والترابط، والوجدان الواعي يدعو إلى الإيمان، الذي هو أعلى درجات الكمال والوعي، فالإيمان بالله يقف في أعلى درجات الكمال الإنساني؛ لأنه يولّد لدى الإنسان شعوراً خاصاً بقدرة الله سبحانه وتعالى، وإحساساً كبيراً بتحقق اليوم الآخر . اليوم الذي تعرض فيه الأعمال ويكون به

[٨٥] سورة الملك: ٢.

[٨٦] سورة المائدة: ٢٧.٢٨.

الحساب والجزاء، ثم الثواب أو العقاب ـ وبذلك يسعى الإنسان لاكتساب الفضائل واجتناب الرذائل؛ لأنه لا يرى أحداث الحياة من خلال محيطه ومجتمعه ـ أو المجتمع البشري ـ وحده، بل يراها من خلال الكون وحركته المنتظمة الهادفة، كما أنه لا يرى مسيرة حياته إلى حين الموت فقط، وإنما يراها متعدية إلى ما بعد الموت والمراحل العليا للحياة الآخرة، السائرة في اتجاه الكمال المطلق، يعني إلى الله سبحانه وتعالى.

فمن هنا تكون مسؤولية المؤمن بالله واليوم الآخر أكبر وأوسع من غيره؛ لأنها تتجاوز حدود الحياة الدنيا لتصل إلى الحياة الآخرة، وهذا الاعتقاد الصحيح يحمله على أن يضحي بالمصالح الآنية الزائفة كسباً للمصالح الأخروية الكبرى الآتية، وحيث إنه يرى سعادته من سعادة المجتمع وشقاءه من شقائه فيسعى جادّاً في سبيل تحقيق الأهداف العليا المتمثلة برعاية مصالح الآخرين، على أن يضحي بشهواته الرخيصة ومصالحه الآنية ولا يكون كل ذلك إلا بالتعمق والتدبر في القرآن الحكيم والعمل بجميع أوامره، والانتهاء عن كل نواهيه.

القرآن يدعو إلى الأفضل

كان هناك تلميذان يسيران في طريقهما إلى المدرسة صباحاً، فشاهدا رجلاً كان قد تسلّق نخلة له ليجني الرطب، فقال أحدهما ـ وكان بعيداً عن تعاليم القرآن ـ: لنسخر من هذا الفلاح!

فقال الآخر: وكيف؟

قال: تعال معي لنخفي حذاءه وننتظره حتى ينزل، وعندما لا يجد حذاءه فسيذهب ويفتش عنه هنا وهناك فنسخر منه!

اشمأز التلميذ الآخر ـ الذي كان متأدباً بآداب القرآن وتعاليمه ـ لسماعه هذا الاقتراح وقال: لدي عمل أفضل من هذا.

فقال له الأول: وما هو؟

قال: أن نضع النقود التي أخذناها من أبوينا هذا الصباح في داخل حذاء هذا المزارع، وحين ينزل ويجدها في حذائه فإنه سيفرح كثيراً. وعندها نفرح نحن لفرحه. أليس هذا العمل أفضل من الأول؟

اقتنع التلميذ الأول بكلام زميله وأختار العمل الثاني وذلك لإدراكهما المصلحة الكبرى التي تحصل من وراء هذا العمل، وهي: مصلحة تعود ليس إليهما فقط، وإنما للرجل المزارع

كذلك.

فهذه النتيجة طبيعية تحصل لأناس يعيشون في مجتمع متأدب بآداب القرآن، ويعتقدون بأن الأعمال تعرض يوم القيامة على أصحابها فيجازون بها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وهذا الاعتقاد القرآني حقيقة ناصعة، تدفع الإنسان إلى ترك الأعمال الشريرة وفعل الأعمال الخيرة.

قال رسول اللهﷺ: «ما من رجلٍ علّم ولده القرآن إلا توّج الله أبويه يوم القيامة تاج الملك وكسيا حلّتين لم ير الناس مثلهما»[٨٧].

وقالﷺ: «إنّ هذا القرآن مأدبة الله فتعلّموا مأدبته ما استطعتم، إنّ هذا القرآن حبل الله، وهو النور البيّن والشفاء النافع، عصمة لمن تمسّك به و نجاة لمن تبعه»[٨٨].

ثمار التدبر في القرآن

كان أبو عبد الله الصادق عليه السلام إذا أخذ مصحف القرآن قبل أن يقرأ القرآن وقبل أن ينشره يقول حين يأخذه بيمينه: «بسم الله، اللهم إني أشهد أن هذا كتابك المنزل من عندك على رسولك محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم وكتابك الناطق على لسان رسولك، فيه حكمك وشرائع دينك، أنزلته على نبيك، وجعلته عهدا منك إلى خلقك وحبلا متصلا فيما بينك وبين عبادك، اللهم إني نشرت عهدك وكتابك، اللهم فاجعل نظري فيه عبادة، وقراءتي تفكرا، وفكري اعتبارا، واجعلني ممن اتعظ ببيان مواعظك فيه، واجتنب معاصيك، ولا تطبع عند قراءتي كتابك على قلبي ولا على سمعي، ولا تجعل على بصري غشاوة، ولا تجعل قراءتي قراءة لا تدبر فيها، بل اجعلني أتدبر آياته وأحكامه، آخذا بشرائع دينك ولا تجعل نظري فيه غفلة ولا قراءتي هذرمة[٨٩]، إنك أنت الرؤوف الرحيم»[٩٠].

نعم، إن التعاليم الحقة التي جاء بها القرآن الكريم، إنما تحصل بالتدّبر في آياته والغوص في معانيه، علماً بأن الاعتبار بها حقّ الاعتبار، والاستفادة منها حق الاستفادة، تبدي آثارها وتعطي ثمارها لا على الفرد نفسه، بل على عموم المجتمع ككل.

---

[٨٧] وسائل الشيعة: ج٦ ص١٦٨ ب١ ح٧٦٤٣.

[٨٨] وسائل الشيعة: ج٦ ص١٦٨ ب١ ح٧٦٤٨.

[٨٩] هذرمة: السراع في الكلام.

[٩٠] مستدرك الوسائل: ج٤ ص٣٧٢ ب٤٥ ح٤٩٧٧.

فالقرآن إذن هو منهج وسلوك، وهو يؤدي بالفرد الإنساني إلى أن يكون عضواً نافعاً في المجتمع، بعد أن ترتكز في ذهنه حالة الخوف من الله التي تؤدي إلى أن تكون كل أعماله محسوبة ومدروسة، سواء في وحدته وانفراده، أم في مجتمعه وذويه.

فعن إسحاق بن عمار قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «يا إسحاق! خف الله كأنك تراه، وإن كنت لا تراه فإنه يراك، وإن كنت ترى أنه لا يراك فقد كفرت، وإن كنت تعلم انه يراك ثم برزت له بالمعصية، فقد جعلته من أهون الناظرين عليك»[٩١].

فالإنسان عندما يكون لديه تفكير كهذا، يجعل الله أمامه في كل صغيرة وكبيرة، ومن البديهي أن تكون أعماله حينئذ صالحة ونواياه خيرة، فتصب في خدمة الآخرين ومصلحة المجتمع مادام ارتباطه بالمجتمع، والتلميذ الذي نمت في قلبه نيَّة الخير .كما أشرنا إليه آنفاً . لابد وأن يكون قد استقاها من مجتمعه الخيّر ومن أبويه الصالحين.

إذن، فليكن لنا القرآن دليلاً ونوراً نستنير به في هذه الدنيا الزائلة، للفوز بالأخرى الأبدية والباقية. قال الإمام الحسن عليه السلام: «ما بقي في الدنيا بقية غير هذا القرآن فأتخذوه إماماً يدلكم على هداكم، وإن أحق الناس بالقرآن من عمل به وإن لم يحفظه، وأبعدهم منه من لم يعمل وإن كان يقرؤه»[٩٢].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ هذه القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد وإن جلاها قراءة القرآن»[٩٣].

وقال ابن عباس: «قارئ القرآن التابع له، لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة»[٩٤].

وفي الختام نسأل الله تعالى وندعوه بالمأثور من دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام مردّدين: «اللهم اجعل القرآن وسيلة لنا إلى أشرف منازل الكرامة، وسلماً نعرج فيه إلى محل السلامة، وسبباً نجزى به النجاة في عرصة القيامة، وذريعة نقدم بها على نعيم دار المساحة، اللهم واحطط بالقرآن عنا ثقل الأوزار، وهب لنا حسن شمائل الأبرار، اللهم صلّ على محمد وآل

[٩١] بحار الأنوار: ج٦٧ ص٣٥٥ باب ٥٩ ح٢.

[٩٢] إرشاد القلوب: ج١ ص٧٩ ب١٩.

[٩٣] إرشاد القلوب: ج١ ص٧٨ ب١٩.

[٩٤] إرشاد القلوب: ج١ ص٧٨ ب١٩.

محمد«[٩٥].

من هدي القرآن الحكيم

υ القرآن دستور الحياة:

قال الله تعالى: ﴿قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتابٌ مُبِينٌ۞ يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٩٦].

وقال سبحانه: ﴿وَهذا كِتابٌ أَنْزَلْناهُ مُبارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٩٧].

وقال عزوجل: ﴿وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٩٨].

وقال جلّ وعلا: ﴿هذا بَصائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[٩٩].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنا لِلنَّاسِ فِي هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[١٠٠].

υ القرآن كتاب هدى ورحمة:

قال سبحانه:﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[١٠١].

وقال عزوجل: ﴿الم ✿ ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾[١٠٢].

وقال جلا وعلا: ﴿وَلَقَدْ جِئْناهُمْ بِكِتابٍ فَصَّلْناهُ عَلى عِلْمٍ هُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[١٠٣].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[١٠٤].

---

[٩٥] الصحيفة السجادية: من دعاء ختم القرآن.

[٩٦] سورة المائدة: ١٥.١٦.

[٩٧] سورة الأنعام: ١٥٥.

[٩٨] سورة النحل: ٤٤.

[٩٩] سورة الجاثية: ٢٠.

[١٠٠] سورة الزمر: ٢٧.

[١٠١] سورة الإسراء: ٨٢.

[١٠٢] سورة البقرة: ١.٢.

[١٠٣] سورة الأعراف: ٥٢.

[١٠٤] سورة النحل: ٨٩.

υ التدبر في القرآن:

قال تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها﴾[١٠٥].

وقال سبحانه: ﴿كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبابِ﴾[١٠٦].

وقال عزوجل: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جاءهُمْ ما لَمْ يَأْتِ آباءهُمُ الأَوَّلِينَ﴾[١٠٧].

وقال جلّ وعلا: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾[١٠٨].

υ الخوف الحقيقي في القرآن:

قال سبحانه: ﴿تَتَجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾[١٠٩].

وقال عزوجل: ﴿فَلا تَخافُوهُمْ وَخافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[١١٠].

وقال جل وعلا: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِياماً وَقُعُوداً وَعَلى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالأَرْضِ رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلاً سُبْحانَكَ فَقِنا عَذابَ النَّارِ﴾[١١١].

وقال تبارك وتعالى: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي ما أَنَا بِباسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخافُ اللهَ رَبَّ الْعالَمِينَ﴾[١١٢].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنِّي أَخافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[١١٣].

من هدي السنة المطهرة

υ القرآن دستور الحياة:

قال رسول اللهﷺ: »القرآن على خمسة أوجه: حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال، فاعملوا بالحلال، واجتنبوا بالحرام، واتبعوا المحكم، وآمنوا بالمتشابه، واعتبروا بالأمثال، وما آمن

---

[١٠٥] سورة محمد: ٢٤.

[١٠٦] سورة ص: ٢٩.

[١٠٧] سورة المؤمنون: ٦٨.

[١٠٨] سورة النساء: ٨٢.

[١٠٩] سورة السجدة: ١٦.

[١١٠] سورة آل عمران: ١٧٥.

[١١١] سورة آل عمران: ١٩١.

[١١٢] سورة المائدة: ٢٨.

[١١٣] سورة الأنعام: ١٥.

بالقرآن من استحل محارمه. وشر الناس من يقرأ القرآن ولا يرعوي شيء به«[١١٤].

وقالت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في خطبتها المعروفة في أمر فدك: »لله فيكم عهد قدّمه إليكم، وبقية استخلفها عليكم: كتاب الله بيّنة بصائرها، وآي منكشفة سرائرها، وبرهان متجلية ظواهره، مديم للبريّة استماعه، وقائداً إلى الرضوان اتّباعه، ومؤدياً إلى النجاة أشياعه، فيه تبيان حجج الله المنيرة، ومحارمه المحرّمة، وفضائله المدوّنة، وجمله الكافية، ورخصه الموهوبة، وشرائطه المكتوبة، وبيناته الجالية«[١١٥].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: »من اتخذ قول الله دليلاً هدي إلى التي هي أقوم«[١١٦].

υ القرآن إمام ورحمة:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: »عليكم بالقرآن فاتخذوه إماماً وقائداً، فإنه كلام رب العالمين الذي هو منه وإليه يعود، فآمنوا بمتشابهه واعتبروا بأمثاله«[١١٧].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: »نعم الشفيع القرآن لصاحبه يوم القيامة«[١١٨].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: »القرآن هدى من الضلالة، وتبيان من العمى، واستقالة من العثرة، ونور من الظلمة، وضياء من الأحزان، وعصمة من الهلكة، ورشد من الغواية، وبيان من الفتن، وبلاغ من الدنيا، إلى الآخرة، وفيه كمال دينكم«[١١٩].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: »واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل، والمحدث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان: زيادة في هدى، أونقصان من عمى«[١٢٠].

υ التدبر في القرآن:

قال الإمام الكاظم موسى بن جعفر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام: »سئل رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ قال بيّنه تبياناً، ولا تنثره نثر الرمل، ولا تهذّه هذّ الشعر،

---

[١١٤] إرشاد القلوب: ج١ ص٧٨ ب١٩.

[١١٥] بحار الأنوار: ج٨٩ ص١٣ ب١ ح٥.

[١١٦] غرر الحكم ودرر الكلم: ص١١١ ق١ ب٤ ف٤ ح١٩٧٤.

[١١٧] كشف الغمة: ج٢ ص١٦٤ ذكر الإمام السادس جعفر الصادق عليه السلام.

[١١٨] نهج الفصاحة: ص٦٣٣ ح٣١٣٤.

[١١٩] الكافي: ج٢ ص٦٠٠ كتاب فضل القرآن ح٨.

[١٢٠] بحار الأنوار: ج٨٩ باب ١ ح٢٤ ص٢٤. مستدرك الوسائل: ج٤ ص٢٣٩ ب٣ ح٤٥٩٤.

قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكون هم أحدكم آخر السورة«[١٢١].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: »ألا لا خير في قراءة ليست فيها تدبر، ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقه«[١٢٢].

υ القرآن والخوف الحقيقي من الله:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: »من خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء«[١٢٣].

وقال صلى الله عليه وآله: »ما من عبد مؤمن تخرج من عينيه دمعة وإن كانت مثل رأس الذباب من خشية الله تعالى ثم تصيب شيئاً من حر وجهه، إلا حرّمه الله تعالى على النار«[١٢٤].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: »إن المؤمن لا يصبح إلا خائفاً وأن كان محسناً، ولا يمسي إلا خائفاً وإن كان محسناً، لأنه بين أمرين: بين وقت قد مضى لا يدري ما الله صانع به، وبين أجل قد اقترب لا يدري ما يصيبه من الهلكات«[١٢٥].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: في قول الله عزوجل: ﴿وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ﴾ قال: »من علم أن الله يراه ويسمع ما يقول ويعلم ما يعمله من خير أو شر فيحجزه ذلك من القبيح من الأعمال فذلك الذي خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى«[١٢٦].

وقال لقمان عليه السلام لابنه: »يا بني خف الله خوفاً لو أتيته بعمل الثقلين خفت أن يعذبك، وأرجه رجاء لو أتيته بذنوب الثقلين رجوت أن يغفر لك«[١٢٧].

---

[١٢١] بحار الأنوار: ج٨٩ ص٢١٥ ب٢٦ ح١٧.

[١٢٢] بحار الأنوار: ج٨٩ باب ٢٦ ح٤ ص٢١١. وسائل الشيعة: ج٦ ص١٧٣ ب٣ ح٧٦٦١.

[١٢٣] جامع السعادات: ج١ ص٢٢٥.

[١٢٤] المحجة البيضاء: ج٧ ص٢٧٩. كتاب الخوف والرجاء.

[١٢٥] بحار الأنوار: ج٧٦ ص٣٨٢ ب٥٩ ح٣٤.

[١٢٦] الكافي: ج٢ ص٧٠ باب الخوف والرجاء ح١٠.

[١٢٧] إرشاد القلوب: ج١ ص١٠٥ ب٢٨.

كلمة الناشر ٢
الدستور الكامل للبشر ٥
القرآن سبب للهداية ٧
أهل البيت عليهم السلام والقرآن ٩
القرآن في الروايات ١٢
التدبر في القرآن ١٣
القرآن للجميع ١٤
من خصائص القرآن ١٤
مع الفضيل بن عياض ١٥
بعض آثار التلاوة ١٦
القرآن والخوف من الله ١٦
طبيعة الخوف ١٧
نموذجان قرآنيان للخوف الممدوح ١٨
تخويف القرآن من العذاب ٢٣
القرآن ومستدعيات الخوف الحقيقي ٢٤
ثمرة الخوف من الله تعالى ٢٥
الدنيا والآخرة في القرآن ٢٥
القرآن يدعو إلى الأفضل ٢٦
ثمار التدبر في القرآن ٢٧
من هدي القرآن الحكيم ٢٩
من هدي السنة المطهرة ٣٠

رجوع إلى القائمة